ISSN 2307-1583

سياسات عربية

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية والسياسات العامة

العدد ٦ - كانون الثاني / يناير ٢٠١٤



مروان قبلان*

العلاقات السعودية – الأميركية: انفراط عقد التحالف أم إعادة تعريفه؟

تحاول هذه الدراسة من خلال الإضاءة على جذور التحالف السعودي – الأميركي رصد التغيّرات التي طرأت عليه، والهزّات التي تعرّض لها، في محاولةٍ لاستشفاف إن كان يتعرّض في هذا الوقت تحديدًا لأزمة قد تؤدي إلى إنهائه، وفق ما يجري الترويج له في دوائر معينة نظرًا "لانتفاء" أو تغيّر عوامل استمراره، أو أنّ ما يجري لا يعدو كونه محطة افتراق مؤقتة فرضها الاختلاف في قراءة كل طرفٍ مصالحه، ثم تعود العلاقة بعدها إلى وضعها المعتاد. من النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة أنّ القراءات التي تذهب باتجاه القول بانهيار التحالف الأميركي – السعودي أو إحلال تحالف أميركي – إيراني مكانه، هي تصورات لحظية تعكس في معظمها تفكيرًا رغبويًا wishful thinking غير مستندٍ إلى وقائع، ولا يتميز بالعمق. فالانحياز الأميركي إلى إيران على حساب السعودية هو أمر غير ممكنٍ سياسيًا، وغير مفيدٍ إستراتيجيًا، بالنسبة إلى واشنطن في ظل ظروف الاستقطاب الراهنة على الأقل.

* باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات.

مروان قبلان*

العلاقات السعودية – الأميركية: انفراط عقد التحالف أم إعادة تعريفه؟

تحاول هذه الدراسة من خلال الإضاءة على جذور التحالف السعودي – الأميركي رصد التغيّرات التي طرأت عليه، والهزّات التي تعرّض لها، في محاولة لاستشفاف إن كان يتعرّض في هذا الوقت تحديدًا لأزمة قد تؤدي إلى إنهائه، وفق ما يجري الترويج له في دوائر معينة نظرًا "لانتفاء" أو تغيّر عوامل استمراره، أو أنّ ما يجري لا يعدو كونه محطة افتراق مؤقتة فرضها الاختلاف في قراءة كل طرف مصالحه، ثم تعود العلاقة بعدها إلى وضعها المعتاد. من النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة أنّ القراءات التي تذهب باتجاه القول بانهيار التحالف الأميركي – السعودي أو إحلال تحالف أميركي – إيراني مكانه، هي تصورات لحظية تعكس في معظمها تفكيرًا رغبويًا wishful thinking غير مستند إلى وقائع، ولا يتميّز بالعمق. فالانحياز الأميركي إلى إيران على حساب السعودية هو أمر غير ممكن سياسيًا، وغير مفيد إستراتيجيًا، بالنسبة إلى واشنطن في ظل ظروف الاستقطاب الراهنة على الأقل.

* باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات.

مقدمة

شهدت العلاقات السعودية - الأميركية على امتداد العقود الستة الماضية حالات تقاربٍ وتباعدٍ وفق رؤية الطرفين لمصالحهما القومية، واعتمادًا على الظروف السائدة في البيئتين الإقليمية والدولية. وبخلاف الاعتقاد الشائع، لم تكن العلاقات بين الرياض وواشنطن في حالة وئامٍ دائمٍ، بل شهدت حالات من التوتر الشديد في منعطفات سياسية؛ كان أبرزها الحظر النفطي العربي عام ١٩٧٣، وهجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. وعلى الرغم من الهزات التي تعرّض لها التحالف السعودي - الأميركي، فإنّه ظل متماسكًا.

> "القراءة الأكثر واقعية، هي أن إدارة الرئيس باراك أوباما تتبع مقاربة جديدة تحاول من خلالها إدماج إيران في المنطقة بعد أن انهكتها العقوبات، ثم تقوم بتوظيف العلاقة الجديدة معها لخدمة مصالحها"

في الآونة الأخيرة، ظهرت الخلافات الأميركية - السعودية على السطح مجددًا نتيجة اختلاف قراءة الطرفين لمجموعة من القضايا والتطورات الإقليمية، كان أهمها وآخرها الانفتاح الأميركي على إيران بعد وصول حسن روحاني إلى سدة الرئاسة فيها، وتوقيع اتفاق جنيف المرحلي بشأن الملف النووي الإيراني. وعلى الرغم من أنّ بعضهم قد ذهب إلى التأكيد على أنّ بنية النظامين الدولي والإقليمي لم تعد تسمح باستمرار التحالف السعودي - الأميركي، فإنّ القراءة الأكثر واقعية، هي أنّ إدارة الرئيس باراك أوباما تتبع مقاربة جديدة تحاول من خلالها إدماج إيران في المنطقة بعد أن أنهكتها العقوبات، ثم تقوم بتوظيف العلاقة الجديدة معها لخدمة مصالحها، ولكن من دون التفريط بعلاقاتها مع السعودية وبقية دول الخليج العربية. كما أنّ استقرار منطقة الخليج سيبقى على رأس أولويات واشنطن في المدى المنظور، وذلك لأسباب اقتصادية وإستراتيجية مرتبطة ليس بالمنطقة فحسب، بل ببنية النظام الدولي والعلاقات بين القوى الكبرى أيضًا؛ فالنفط العربي سوف يظل الشريان الحيوي للاقتصاد العالمي لنحو عقدين آخرين من الزمن على الأقل، على الرغم من اكتشافات النفط والغاز الصخري في الولايات المتحدة. ومن الخطأ الاستنتاج أيضًا بأنّ تنامي الاهتمام الأميركي بمنطقة آسيا والمحيط الهادي يعد بمنزلة انسحابٍ من منطقة الشرق الأوسط والخليج؛ إذ على العكس تمامًا، سوف يستدعي ازدياد الاهتمام الأميركي بالشرق الأقصى بالضرورة تمسّك الأميركيين بحماية مصالحهم في المنطقة العربية وحمايتها، ولكن بوسائل ومقاربات مختلفة.

البدايات: "صيغة" النفط مقابل الأمن وسياقات الحرب الباردة

تمتد علاقات التحالف السعودي - الأميركي إلى أكثر من ستة عقود، وتقوم مبدئيًا على "صيغة" الأمن مقابل النفط Oil for Security Formula التي جرى التوصل إليها خلال الاجتماع الشهير الذي جمع مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز آل سعود بالرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت على ظهر البارجة الأميركية USS Quincy في البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٤٥. وبحسب هذا التفاهم، تعهدت واشنطن ضمان أمن السعودية في مواجهة أي أخطار داخلية أو خارجية مقابل التزام الرياض تأمين إمدادات نفط رخيصة للولايات المتحدة[١].

وقد شكّلت هذه الصيغة أحد أهم أضلع "الثالوث المقدس" Holy Trinity[٢] الذي حكم سياسة واشنطن في منطقة الشرق الأوسط طوال سنوات الحرب الباردة، وتشمل: تأمين إمدادات نفط رخيصة للاقتصاد الأميركي والعالمي، ومنع التغلغل الشيوعي في منطقة الخليج والشرق الأوسط، وحماية أمن إسرائيل.

في العموم، كانت السياسة السعودية منسجمةً مع ضلعي الثالوث الأولين؛ تأمين النفط ومواجهة الشيوعية، لكنّ الضلع الإسرائيلي في الإستراتيجية الأميركية كاد يهدّد صيغة التفاهم القائمة في أكثر من مناسبة. فقد اضطر الموقفُ الأميركي من الصراع العربي - الإسرائيلي الرياضَ إلى تعليق "صيغة النفط مقابل الأمن" في مناسبتين على الأقل، أولاهما عندما فرضت حظرًا نفطيًا جزئيًا على الغرب عقب العدوان

1 Amitav Acharya, *U.S. Military Strategy in the Gulf: Origins and Evolution under the Carter and Reagan Administrations* (London and New York: Routledge, 1989); Edward L. Morse and James Richard, "The Battle for Energy Dominance," *Foreign Affairs*, vol. 81, no. 2 (March-April 2002), pp. 16-31.

٢ يرجع استخدام هذه التسمية إلى مايكل هدسون، انظر:
Michael C. Hudson, "To Play Hegemon: Fifty Years of US Policy towards the Middle East," *The Middle East Journal*, vol. 50, no. 3 (Summer 1996), pp. 329-343.

الإسرائيلي عام ١٩٦٧، وثانيتهما عندما فرضت حظرًا آخر أوسع نطاقًا خلال حرب تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣[٣]. لكنّ العمل بهذه "الصيغة" عاد بصورة أقوى بعد ذلك، وجرى تمتين عرى التحالف بعد التفاهم الشهير الذي جرى بين الملك فيصل بن عبد العزيز ووزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر؛ وتمكّن الأخير بمقتضاه تحقيق فكّ اشتباكٍ على الجبهتين المصرية والسورية عام ١٩٧٤[٤].

وعلى الرغم من تنامي شكوك السعوديين في قدرة الولايات المتحدة على الالتزام بتعهداتها في ما يتعلق بتوفير الأمن لهم بعد أن عجزت عن ذلك تجاه نظام الشاه في إيران عام ١٩٧٩، ثمّ الهزة التي تعرضت لها العلاقة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، ظلت السعودية تؤدي دور الضامن لإمدادات الطاقة للولايات المتحدة طوال العقود الثلاثة الأخيرة[٥]؛ فتدخلت لتعويض النقص الذي نتج من معظم الهزات التي شهدتها المنطقة ابتداءً بالثورة الإيرانية، ثم الحرب العراقية - الإيرانية، فغزو الكويت، وخروج العراق على فترات من السوق النفطية، وصولًا إلى تعويض خسارة الأسواق للنفط الإيراني عندما فرضت إدارة أوباما بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي حظرًا على تصدير النفط الإيراني بسبب أزمة البرنامج النووي خلال العامين ٢٠١٢ و٢٠١٣[٦].

أما الوجه الآخر لهذه العلاقة خلال فترة الحرب الباردة فتمثّل في رؤية الطرفين المشتركة للخطر الشيوعي ممثلًا بالاتحاد السوفيتي وتعاونهما لمواجهته[٧]. وخلال الخمسينيات والستينيات وجدت واشنطن نفسها في تحالف طبيعي مع القوى الإسلامية والأنظمة المحافظة في منطقة الشرق الأوسط، وعلى رأسها السعودية[٨]. فقد كان الإسلاميون في عداء مع أفكار الإلحاد، فيما كانت الأنظمة المحافظة تعد التيارات والقوى اليسارية الحليفة لموسكو تهديدًا خطيرًا لوجودها واستمرارها[٩].

ومنذ مطلع السبعينيات، ومع تنامي مشاعر العداء في الداخل الأميركي للتدخلات العسكرية المباشرة بسبب الحرب في فيتنام، اتجهت واشنطن نحو تعزيز قوة حلفائها الإقليميين. ووفقًا لنظرية "الأعمدة التوأم" Twin Pillars[١٠]، والتي أشرف على وضعها مستشار الأمن القومي الأميركي حينذاك هنري كيسنجر، أصبحت الرياض اعتبارًا من عام ١٩٧١ الركن الرئيس الآخر في إستراتيجية واشنطن في منطقة الخليج إلى جانب إيران[١١].

وقد ازدادت قوة هذا التحالف من خلال البناء عليه في السنوات العشر الأخيرة من الحرب الباردة مع اتجاه الاتحاد السوفيتي، متشجعًا بهزيمة أميركا في فيتنام، إلى اعتماد سياسة أكثر تصادمية بدءًا من أواخر السبعينيات عندما قام بغزو أفغانستان، منهيًا بذلك حقبة الانفراج الدولي *Détente* في العلاقات مع واشنطن والتي بدأت بتوقيع اتفاق خفض الأسلحة الإستراتيجية الهجومية والصواريخ البالستية (SALT1) عام ١٩٧٢[١٢]. وجاءت الثورة الإسلامية في إيران لتزيد من أهمية السعودية في حسابات واشنطن الإستراتيجية وتحولها إلى ما اعتبره الرئيس جيمي كارتر الحليف الأهم للولايات المتحدة في الساحة الدولية[١٣].

وعلى الرغم من المرارة التي سببتها الثورة الإيرانية خاصةً بعد أزمة الرهائن واقتحام السفارة الأميركية في طهران، ظهر مفهوم "الحزام الأخضر" The Green Belt الذي نَظّر له وليم كوانت، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة برينستون الذي انتقل في ما بعد ليصبح مسؤول الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي الذي ترأسه زبغينو بريجنسكي

3 Andrew Scott Cooper, *Oil Kings: How the West, Iran, and Saudi Arabia Changed the Balance of Power in the Middle East* (Oxford: Oneworld Publications, 2011).

4 B. Reich, "United States Interests in the Middle East," in Haim Shaked and Itamar Rabinovich (eds.), *The Middle East and the United States* (London: Transaction Books, 1980), p. 62; Seth P. Tillman, *The United States in the Middle East: Interests and Obstacles* (Bloomington: Indiana University Press, 1982), p. 51

5 Richard L. Russell, "A Saudi Nuclear Option?" *Survival*, vol. 43, no. 2 (Summer 2001), p. 70.

6 "Iran warns Saudi Arabia to reconsider 'unfriendly' vow to open oil taps," *The National*, January 17, 2012, at: http://www.thenational.ae/news/world/middle-east/iran-warns-saudi-arabia-to-reconsider-unfriendly-vow-to-open-oil-taps

7 Dwight D. Eisenhower, *Waging Peace: The White House Years 1956-1961* (London: Heinemann, 1966) p. 168.

٨ محمد حسنين هيكل، "دفاتر أزمة"، السفير، ٢٠٠٢/١/٣، انظر:
http://www.bintjbeil.com/articles/ar/020103_haykal.html

9 Fawaz A. Gerges, *America and Political Islam: Clash of Cultures or Clash of Interests* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999) p. 40.

10 Howard Teicher and Gayle Radley Teicher, *Twin Pillars to Desert Storm: America's Flawed Vision in the Middle East from Nixon to Bush* (New York: William Morrow, 1993); Shibley Telhami, "Understanding the Challenge," *The Middle East Journal* vol. 56, no. 1 (Winter 2002), p. 11.

11 Middle East Research and Information Project, "Nixon's Strategy in the Middle East," no. 13 (November 1972), pp. 3-8.

12 Fred Halliday, *The Making of the Second Cold War* (London: Verso, 1983).

13 Steven L. Spiegel, *The Other Arab-Israeli Conflict: Making America's Middle East Policy from Truman to Reagan* (Chicago and London: The University of Chicago Press, 1985), p. 333.

في إدارة الرئيس كارتر(١٤). أخذ بريجنسكي بنظرية الحزام الأخضر التي تقوم على فكرة بناء تحالف من دول إسلامية لمنع الاتحاد السوفيتي من الوصول إلى المياه الدافئة ومنابع النفط في الخليج، وقام بزيارة معسكرات المجاهدين الأفغان في باكستان حيث توصل هناك إلى صيغة لهزيمة موسكو تقوم بموجبها السعودية بتقديم المال، والاستخبارات المركزية الأميركية بتدريب المجاهدين الأفغان، ويقوم كل من المغرب ومصر بشراء الأسلحة من الأسواق الدولية، أما الاستخبارات العسكرية الباكستانية فتعمل على التنسيق لوجستيًا بين جميع الأطراف على الأرض(١٥). وقد أدت هذه الصيغة إلى هزيمة السوفييت وإرغامهم على الخروج من أفغانستان بدءًا من عام ١٩٨٩(١٦).

من نهاية الحرب الباردة إلى هجمات سبتمبر ٢٠٠١

جدّدت الولايات المتحدة التزامها حماية مصالحها في الخليج، ومنع أي قوة إقليمية أو دولية من السيطرة على هذه المنطقة الإستراتيجية عندما دخلت في مواجهة عسكرية مباشرة كانت الأولى لها بعد حرب فيتنام لإخراج العراق من الكويت عام ١٩٩١. ثم نجحت في تحجيم قدرات العراق وإيران معًا من خلال فرض ما أصبح يعرف لاحقًا بسياسة "الاحتواء المزدوج" Dual Containment، والتي وضعها مارتن إنديك مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط في إدارة الرئيس بيل كلينتون وأشرف على تنفيذها(١٧).

كانت السعودية منسجمة في العموم مع سياسة احتواء القوتين الإقليميتين في منطقة الخليج (إيران والعراق)، واعتبرت أنها تأكيد على التزام الولايات المتحدة صيغة الأمن مقابل النفط. لكنّ واشنطن، التي أصبحت أكثر ارتياحًا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي واحتواء دور كلٍ من إيران والعراق، كانت تخطط لتقليل اعتمادها على نفط منظمة الدول المصدرة للنفط "أوبك"، وبخاصة العنصر العربي السعودي فيه؛ من خلال تنويع وارداتها وزيادتها من دول غير أعضاء في المنظمة مثل روسيا والمكسيك والنرويج وكندا(١٨).

ومع تصاعد نفوذ حركات الإسلام السياسي في منطقة الشرق الأوسط وبدء الترويج لفكرة صراع الحضارات(١٩)، بدأت الولايات المتحدة تتحوّط لاحتمال وقوع اضطرابات وانقطاع واردات النفط من المنطقة العربية(٢٠)؛ لذلك أخذت تحث الشركات الأميركية على زيادة استثماراتها في حقول نفط بحر قزوين وتخطّط لبناء خط أنابيب يمتدّ من جمهوريات آسيا الوسطى عبر أفغانستان إلى موانئ باكستان على بحر العرب، والتركيز على الاكتشافات الجديدة في أفريقيا والعمل بسرعة على إدخالها في طور الاستثمار. كما توجهت نحو تشجيع روسيا على تأهيل منشآتها النفطية وزيادة حصتها السوقية على حساب دول أوبك، وعلى رأسها السعودية(٢١).

وقد أثّرت هذه السياسة بصورة كبيرة في السعودية التي دخلت في مواجهات عديدة مع المنتجين الآخرين للحفاظ على أسعار مقبولة من جهة، والدفاع عن حصتها في السوق النفطية من جهة أخرى. خلال هذه الفترة، حاولت السعودية السير على حبلٍ مشدودٍ في سياستها النفطية؛ فقد ظلت ملتزمة تفاهمها مع الولايات المتحدة في ما يتعلق بتأمين إمدادات نفط كافية وبأسعار معقولة من جهة، ومن جهة أخرى سعت لمواجهة متاعبها المالية الناجمة أساسًا عن حرب الخليج الثانية (١٩٩١)، وكذلك الحفاظ على حصتها في الأسواق العالمية لأنّ النفط لم يعد سلعة تجارية فحسب، وإنما أيضًا سياسية بدرجة كبرى(٢٢). ولتحقيق هذه الأهداف مجتمعة وبشكل متزامن دخلت السعودية

14 William B. Quandt, *Saudi Arabia in the 1980s: Foreign Policy, Security and Oil* (Washington, DC: The Brookings Institution, 1981), pp. 143-144; Zbigniew Brzezinski, *Power and Principle: Memoirs of the National Security Adviser 1977-1981* (New York: Farrar. Straus. Giroux, 1983), pp. 470, 478 and 484.

15 Barnett R. Rubin, "Arab Islamists in Afghanistan," in John L. Esposito (ed.), *Political Islam: Revolution, Radicalism, or Reform?* (London and Colorado: Lynne Rienner Publisher, Inc., 1997), pp. 187-195.

انظر أيضًا: هيكل.

١٦ ولتأكيد أهمية تحالفها مع السعودية في مواجهة التهديد السوفيتي، قامت إدارة الرئيس رونالد ريغان بتزويد الرياض بطائرات الإنذار المبكر "أواكس" عام ١٩٨١، على الرغم من المعارضة الشديدة التي أبدتها إسرئيل وأصدقاؤها في الكونغرس. وتعتبر معركة الأواكس من المعارك الحاسمة القليلة التي خسرتها إسرائيل في إطار جهدها للتأثير في السياسة الأميركية تجاه المنطقة، انظر:

Spiegel, pp. 308-309 and 346-349.

١٧ حول هذه السياسة انظر:

F. Gregory Gause III, "The Illogic of Dual Containment," *Foreign Affairs*, vol. 73, no. 2 (March-April 1994), pp. 56-66.

18 Edward L. Morse and James Richard, "The Battle for Energy Dominance," *Foreign Affairs*, vol. 81, no. 2 (March-April 2002), p. 22.

19 Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilisations and the Remaking of World Order* (New York: Simon and Schuster, 1996).

20 Leon T. Hadar, "What Green Peril?" *Foreign Affairs*, vol. 72, no. 2 (Spring 1993), pp. 27-42.

21 Edward L. Morse and James Richard, "The Battle for Energy Dominance," *Foreign Affairs*, vol. 81, no. 2 (March-April 2002), p .26.

22 Ibid., pp. 16-31.

في مواجهات مع عددٍ من المنتجين الكبار كان أهمها مع فنزويلا في عامي ١٩٩٦ و١٩٩٧عندما تمكنت كراكاس من زيادة حصتها النفطية إلى ثلاثة ملايين برميل في اليوم وإزاحة السعودية عن مكانتها بوصفها مصدّرًا أول للنفط إلى السوق الأميركية. وردّت السعودية بالدخول في حرب أسعار مع فنزويلا عن طريق زيادة إنتاجها بمعدل مليون برميل في اليوم؛ ما أدى إلى انهيار الأسعار في عام ١٩٩٨. وكان من نتائج هذه الحرب تراجع فنزويلا عن سياستها، واستعادت السعودية مكانتها في الأسواق الأميركية، واضطرت دول أخرى من خارج أوبك مثل النرويج والمكسيك إلى مهادنة الرياض، لكن التكاليف التي تكبدتها السعودية نتيجة محاولة الأميركيين ضرب المنتجين الكبار بعضهم ببعض كانت كبيرة، نظرًا لانهيار أسعار النفط خلال هذه الفترة(٢٣).

هجمات سبتمبر ٢٠٠١ واهتزاز التحالف

ألقت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ظلالًا ثقيلةً من الشك على العلاقات الأميركية – السعودية، وتزايد التوتر مع صدور دعوات في الغرب لتغيير أنظمة، وإعادة رسم خرائط، وبناء تحالفات جديدة والتخلي عن أخرى قديمة(٢٤). وقد ترافق ذلك كله مع غموض متعمد في السياسة الأميركية تجاه السعودية، تجسّد في عدم التعليق على هذه الدعوات. من جهة أخرى، بدأ الغمز من قناة الرياض بما أنّ ١٥ من بين الانتحاريين الـ ١٩، إضافة إلى زعيم تنظيم القاعدة نفسه أسامة بن لادن، هم من السعوديين؛ وذلك لكي تحمِّلها جزءًا من المسؤولية عما حدث(٢٥)، والتشكيك في نواياها تجاه الولايات المتحدة، حتى إنّ بعضهم ذهب إلى وصف السعودية بأنها عدو للولايات المتحدة(٢٦).

وفق هذه المعطيات وما تبعها من تطورات، أخذت الرياض تشعر بحجم الضغوط الممارسة عليها، وبخاصة بعد أن راحت دوائر غربية تدعو إلى إنهاء العمل بصيغة النفط مقابل الأمن والاعتماد على نفط روسيا وبحر قزوين بدلًا من النفط العربي. وكان ذلك من الأسباب التي حدت بولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز فتح حقول النفط مجددًا أمام الاستثمارات الأجنبية بعد ثلاثة عقود من إغلاقها بغرض تطوير صناعة استخراج النفط وتحسين مكانة بلاده النفطية على الساحة الدولية عبر تأمين مزيد من القدرة الاحتياطية من جهة، وربط مصالح الشركات النفطية الأميركية باستقرار السعودية من جهة أخرى(٢٧).

لكنّ أزمة الثقة بين واشنطن والرياض كانت تتزايد؛ إذ رفضت السعودية السماح للأميركيين باستخدام أراضيها في الهجوم على أفغانستان بسبب المعارضة الداخلية الشديدة، على الرغم من أنها دعمت قرار مجلس الأمن الذي اعتبر الحرب الأميركية على أفغانستان بمنزلة دفاع عن النفس في مواجهة عملٍ إرهابي. كما عارضت السعودية قرار الحرب على العراق، مع أنها سمحت للقوات الأميركية باستخدام أجوائها في العمليات العسكرية ضده(٢٨)، لكنها ما لبثت أن طلبت مغادرة جميع القوات الأميركية المتمركزة في قاعدة الظهران منذ حرب "تحرير الكويت" عام ١٩٩١(٢٩).

وفي حين كانت السعودية تحاول احتواء الضرر الذي لحق بتحالفها مع واشنطن، وطرح الأمير عبد الله مبادرة السلام العربية في مؤتمر القمة العربية في بيروت عام ٢٠٠٢، ليجدّد التزام بلاده خط "الاعتدال" الذي ذهب إلى حد الاعتراف بإسرائيل، والتطبيع معها إذا قامت بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، فإنّ هذه المبادرة لم تلق اهتمامًا كبيرًا في واشنطن المنشغلة بالإعداد لغزو العراق، وتوسيع جبهات الحرب على الإرهاب(٣٠).

23 Ibid.

24 Robert Cooper, "The New Liberal Imperialism," *The Guardian*, April 7, 2002, at: http://www.theguardian.com/world/2002/apr/07/1; Michael White, "Let us reorder this world," *The Guardian*, October 3, 2001, at: http://www.theguardian.com/politics/2001/oct/03/uk.afghanistan

٢٥ على الرغم من أنّ هذه التلميحات لم تأت مباشرة من مصادر رسمية، بل جاءت في معظمها من قبل كتاب وصحافيين يمينيين، فإنّ ذلك لا ينفي أنّ إدارة بوش كانت راضية عن تلك الحملة لانتزاع تنازلات من السعودية.

26 Robert Baer, *Sleeping With the Devil: How Washington Sold Our Soul for Saudi Crude* (New York: Three Rivers Press, 2004).

٢٧ "السعودية تقدم حوافز وضمانات لاجتذاب المستثمرين"، **الجزيرة نت**، ٢٠٠٢/١/١٦، انظر:

http://www.aljazeera.net/ebusiness/pages/d7d070c4-c870-4ef0-a4e7-27534aedf675

28 Sharon Otterman, "Saudi Arabia: Withrawal of U.S. Forces," May 2, 2003, at: http://www.cfr.org/saudi-arabia/saudi-arabia-withdrawl-us-forces/p7739

29 Don Van Natta Jr., "Last American Combat Troops Quit Saudi Arabia," *The New York Times*, September 22, 2003, at: http://www.nytimes.com/2003/09/22/international/middleeast/22SAUD.html

٣٠ "نص مبادرة السلام العربية التي أطلقتها قمة بيروت العربية عام ٢٠٠٢"، **الشرق الأوسط**، ٢٠٠٧/٣/٢٧، انظر:

http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=412393&issueno=10346#.UsKzG9GIqcw

غزو العراق و"تغوّل" النفوذ الإيراني

منذ قيام الجمهورية الإسلامية عام ١٩٧٩، شكّل العراق بالنسبة إلى السعودية وبقية دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية حائط صدٍّ أساسيّ في مواجهة النفوذ الإيراني ومساعي تصدير أفكار الثورة. لذلك دعمت الرياض الجهد العسكري للعراق في حربه مع إيران ١٩٨٠-١٩٨٨، وقدمت له كل أشكال الدعم السياسي والمادي[٣١].

وعلى الرغم من أنّ العلاقات مع العراق ساءت كثيراً بعد قيامه بغزو الكويت عام ١٩٩٠ واستضافة السعودية القوات الأميركية التي قامت بتحريرها، فإنّ الرياض عارضت مخططًا أميركيًا حينها لإطاحة صدام حسين وتغيير نظام البعث، لأنّ ذلك يعزّز النفوذ الإيراني، وقد يؤدي إلى وقوع العراق كليًا تحت الهيمنة الإيرانية[٣٢]. لذلك اكتفت السعودية بتأييد إخراج العراق من الكويت واحتوائه مع إيران[٣٣]، فيما قامت هي بتعويض جزء من حصص الطرفين في السوق النفطية سواء أكان ذلك نتيجة عدم القدرة على التصدير بسبب الحصار في حالة العراق، أم بسبب تهالك الصناعة النفطية بسبب العقوبات في حالة إيران.

عندما وقعت هجمات سبتمبر ٢٠٠١، كانت السعودية مرتاحة في العموم إلى عملية الاحتواء المزدوج لخصميها في المنطقة (العراق وإيران)؛ لذلك كان من الطبيعي أن تبدي عدم تحمّسها لفكرة غزو العراق، لكنّ قدرتها على التأثير في القرار الأميركي كانت محدودةً نظرًا للنفوذ الكبير الذي كان يتمتع به المحافظون الجدد في إدارة جورج بوش الابن وإصراراهم على استثمار حالة الصدمة الشعبية الناجمة عن هجمات سبتمبر لتنفيذ أجندتهم في الشرق الأوسط وعلى رأسها إطاحة نظام صدام حسين. من جهة ثانية، كانت قدرة السعودية على التأثير في سياسة واشنطن في المنطقة قد ضعفت إلى حد كبير نظرًا لانتهاء ظروف الحرب الباردة، فضلًا عن الضرر الكبير الذي لحق بالرياض بسبب الهجمات، فقد جرى اتهامها بأنها تشكّل بيئةً حاضنةً للفكر السلفي الجهادي الذي ضرب رموز قوة الولايات المتحدة الاقتصادية والأمنية والسياسية[٣٤].

في المقابل، كانت إيران من بين أكبر المستفيدين من هجمات الحادي عشر من سبتمبر؛ إذ قامت واشنطن بعدها بالتخلص من ألد خصومها الإقليميين؛ فقد أطاحت حكم طالبان في الشرق، وقامت بغزو العراق في الغرب وتحطيم آلته العسكرية التي طالما شكلت التهديد الأمني الإقليمي الأبرز لإيران منذ ما قبل سقوط حكم الشاه عام ١٩٧٩.

انصرفت إيران بدأب خلال العقد التالي لبناء مقومات قوة إقليمية مهيمنة مستفيدة من الارتفاع الكبير في أسعار النفط ومن بيئة جيوبولتيكية تغيرت لمصلحتها بشدة بفعل التدخل العسكري الأميركي المباشر. وقد أدت السياسات التي اتبعتها الإدارة الأميركية وممثلوها في العراق، وبخاصة بول بريمر، إلى تفكيك مؤسسات الدولة العراقية وعلى رأسها الجيش من دون القدرة على بناء بديلٍ منها. وقد أسهم ذلك في خلق حالة من الفراغ ملأته إيران وحلفاؤها تدريجيًا، وبذلك حوّلوا العراق من ندٍ لإيران إلى منطقة نفوذ لها. وقد هيمنت النخب السياسية العراقية التي كان معظمها يقيم في طهران أو يرتبط بها؛ مثل حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وغيرها من أحزاب وميليشيات، على مقاليد السلطة في العراق. وفي هذه الأثناء، جرى استبعاد المكونات ذات الميول العروبية ما جعل إيران الدولة الأكثر نفوذًا وتأثيرًا في العراق على الرغم من الحضور العسكري الأميركي[٣٥].

ونتيجة للتكلفة المادية والبشرية للحرب في العراق، وتزايد الرغبة الشعبية الأميركية في الانسحاب، بدت إدارة الرئيس جورج بوش الابن في أواخر عهدها مستسلمة لطغيان النفوذ الإيراني في العراق. وقد أثار ذلك السعوديين الذين عبّروا عن سخطهم على السياسات الأميركية في أكثر من مناسبة[٣٦]، كان أهمها الهجوم الذي شنه الملك عبد الله بن عبد العزيز على قرار غزو العراق ونتائجه في المنطقة خلال مؤتمر القمة العربية الذي عقد في الرياض في آذار/ مارس ٢٠٠٧[٣٧].

31 Claude Salhani, "Fragmented Iraq: Saudi challenge," April 7, 2006, at: http://www.upi.com/Business_News/Security-Industry/2006/04/07/Analysis-Fragmented-Iraq-Saudi-challenge/UPI-40831144427759/

32 Leon T. Hadar, "High Noon in Washington: The Shootout over the Loan Guarantees," *Journal of Palestine Studies*, vol. 21, no. 2 (Winter 1992), pp. 72-87.

33 Eric Rouleau, "Trouble in the Kingdom," *Foreign Affairs* vol. 81, no. 4 (July-August 2002), pp. 75-89.

34 Dan Morgan and David B. Ottaway, "Apparent Role of Saudis Draws Scrutiny to Kingdom's Tensions," *The Washington Post*, September 21, 2001, at: http://www.library.cornell.edu/colldev/mideast/sakinrol.htm

35 James A. Baker and Lee H. Hamilton, "The Iraq Study Group Report," at: http://media.usip.org/reports/iraq_study_group_report.pdf

36 Nawaf Obaid, "Stepping into Iraq," *The Washington Post*, Novemebr 29, 2006, at: http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/11/28/AR2006112801277.html

٣٧ "كلمة خادم الحرمين الشريفين الافتتاحية لمؤتمر القمة العربية العادية (١٩)"، موقع وزارة الخارجية السعودية، انظر:
http://www.mofa.gov.sa/aboutMinistry/SEMINARSANDCONFERENCES/ArabLeagueConcil/speeches/Pages/NewsArticleID62582.aspx; "U.S. caught off guard by Saudi king's criticism / But some experts say remarks on Iraq are gambit to check Iran," March 30, 2007, at: http://www.sfgate.com/politics/article/U-S-caught-off-guard-by-Saudi-king-s-criticism-2567302.php

كما استفادت إيران من ظروف العزلة الإقليمية والدولية التي فرضت على النظام السوري عقب اتهام شخصيات فيه باغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري؛ إذ زادت تأثيرها ونفوذها في دمشق بعد أن تحولت إلى داعمٍ رئيسٍ لنظام الرئيس بشار الأسد. كما استغلت إيران العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦ وعلى قطاع غزة في شتاء ٢٠٠٨/٢٠٠٩ لتجعل من نفسها قائدًا لمحور المقاومة في المنطقة، ولاعبًا أساسيًا في ميزان الصراع العربي - الإسرائيلي وعموم الشرق الأوسط الكبير[٣٨].

مع مجيء إدارة الرئيس باراك أوباما إلى الحكم، كانت طهران تعدّ نفسها لجني الحصاد الأكبر؛ أي ربط مناطق النفوذ التي بنتها بجدٍ خلال العقد الماضي في المنطقة الممتدة من هيرات غرب أفغانستان حيث تقطن قبائل الهزارة الشيعية القريبة إلى إيران، وحتى ساحل المتوسط في بيروت وغزة، مرورًا ببغداد ودمشق[٣٩].

جاء أوباما على خلفية أزمة اقتصادية ومالية عميقة، كان لا بد من احتواء تداعياتها من خلال لملمة القوة الأميركية المبعثرة في أرجاء العالم الإسلامي، وما ترتب على ذلك من استنزافٍ اقتصادي وسياسي وعسكري للولايات المتحدة. لذلك، وفور إعلان فوزه في الانتخابات الرئاسية الأميركية، أعلن أوباما عن نيته سحب القوات الأميركية من العراق بنهاية عام ٢٠١١، ومن أفغانستان بحلول منتصف عام ٢٠١٤. وقد شكلت هذه الوعود بدايات الانسحاب الأميركي التدريجي من المنطقة، وكانت إيران تتطلع لملء الفراغ. لكنّ "الربيع العربي" حلّ مبكرًا مطلع عام ٢٠١١ في وقت لم يكن فيه الأميركيون قد أنهوا انسحابهم من العراق بعد، ولم تكن إيران قد انتهت من تنفيذ مشروعها وحصد ثمار عقدٍ من العمل الدؤوب لبناء عناصر قوتها الإقليمية. صحيحٌ أنّ "الربيع العربي" ضرب خصوم إيران (نظاما مبارك والقذافي مثلًا)، لكنه ضرب حلفاءها أيضًا (في سورية وانتقلت بعض آثاره إلى العراق). لكنّ إيران لم تكن وحيدةً في مسعى استيعاب نتائج "الربيع العربي" الذي لم يميّز حلفاءها من الخصوم، فقد حاولت كل من السعودية وأميركا أيضًا ذلك، كما سعتا للاستفادة من بعض مظاهره.

> استغلت إيران العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦ وعلى قطاع غزة في شتاء ٢٠٠٨/٢٠٠٩ لتجعل من نفسها قائدًا لمحور المقاومة في المنطقة، ولاعبًا أساسيًا في ميزان الصراع العربي - الإسرائيلي

"الربيع العربي": صعود تيارات الإسلام السياسي إلى الحكم وإعادة المراجعة

شكّلت ثورات "الربيع العربي"[٤٠] التي بدأت بتونس وامتدت لتشمل دولًا عربيةً عديدةً، التحدي الأبرز لإدارة الرئيس باراك أوباما. فقد أربك تحوّل السياسة من نشاطٍ نخبويٍ ينحصر في دوائر مغلقة بعيدة عن التأثر بالمزاج العام، إلى نشاطٍ وسلوكٍ يقرره الشارع العربي وليس دوائر صنع القرار الأميركي. لقد اعتاد الساسة الأميركيون على التعامل مع نخبٍ سياسيةٍ مسيطرةٍ في العالم العربي، ما أعفاها من مسؤولية مراقبة الشارع العربي وتوقع ردود أفعاله. لذلك، لم تتفاجأ الدوائر السياسية والاستخباراتية الأميركية فحسب باندلاع ثورات "الربيع العربي"[٤١]، بل الدوائر الأكاديمية أيضًا؛ ما أسهم في جعل السياسة الأميركية مرتبكة وغير واضحة[٤٢].

وما زاد الموقف الأميركي إرباكًا أنّ الثورات العربية جاءت في وقت كانت فيه إدارة أوباما مهتمة أكثر بتحقيق الاستقرار الإقليمي الذي

38 George Friedman, "U.S. and Iranian Relaities," *Stratfor*, October 1, 2013, at: http://www.stratfor.com/weekly/us-and-iranian-realities?utm_source=freelist-f&utm_medium=email&utm_campaign=20131001&utm_term=Gweekly&utm_content=readmore&elq=689cffa1bc0241db9ff8f4dab248380c

39 George Friedman, "Syria, Iran and the Balance of Power in the Middle East," *Stratfor*, November 22, 2011, at: http://www.stratfor.com/weekly/20111121-syria-iran-and-balance-power-middle-east

٤٠ نستخدم تعبير "الربيع العربي" هنا مجازًا لوصف الانتفاضات والثورات العربية التي بدأت بتونس منتصف كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٠ وما زالت مستمرة في بلدان عربية عديدة.

٤١ شكّل الربيع العربي مفاجأةً كبيرةً للأكاديميا الغربية التي تمحورت جميع كتاباتها وأفكارها حول فرضية تقول بعدم قابلية العرب والمسلمين للثورة، وميلهم إلى الخضوع والاستسلام لأسباب ثقافية ودينية، انظر:
Marwan Kabalan, "Arab Street Defies Western Theories," *Gulfnews*, March 18, 2011, at: http://gulfnews.com/opinions/columnists/arab-street-defies-western-theories-1.778641

42 Marwan Kabalan, "Western Academia Got it all Wrong," *Gulfnews*, April 1, 2011, at: http://gulfnews.com/opinions/columnists/western-academics-got-it-all-wrong-1.785771

يفسح المجال أمام انسحاب قواتها بيسر من المنطقة، لكنها لم تكن في موقع تستطيع فيه الوقوف إلى جانب قمع تحركات المجتمعات العربية التي جاءت على شكل انتفاضات سلمية تسعى للحرية والكرامة الإنسانية. وبالمحصلة، قررت واشنطن مجاراة التغيير حتى لا تكرِّر أخطاءها في إيران خلال ثورة عام ١٩٧٩ عندما تمسكت بالشاه وخسرت إيران. وحتى تتمكن من ضبط مسارات التغيير، راحت واشنطن تنسج علاقات مع القوى الصاعدة، ولذلك كان لزامًا عليها أن تتخلى عن القوى الآفلة[٤٣].

كانت السعودية خلال "الربيع العربي" تقود معسكر مقاومة التغيير؛ لذلك كان من الطبيعي أن تتعارض توجهاتها مع السياسات الأميركية التي جاءت مسايرةً له. وبناءً عليه، نظرت الرياض بكثير من الشك إلى الموقف الأميركي من الثورات العربية؛ ففي الوقت الذي رفضت فيه واشنطن دعم التدخل السعودي – الخليجي في البحرين مطلع عام ٢٠١١ لقمع الانتفاضة الشيعية، قامت إدارة أوباما بالتخلي عن واحد من أوثق حلفائها في المنطقة وهو الرئيس المصري حسني مبارك. اعتبرت السعودية مطالبة إدارة أوباما الرئيس مبارك للتنحي عن الحكم مؤشرًا سلبيًا على سلوك واشنطن إزاء حلفائها في أوقات الأزمــات[٤٤]. وبلغ الأمر حدّ قيام الملك عبد الله اتهام الأميركيين بالمسؤولية عن الأزمة العميقة التي وصلت إليها مصر في حقبة ما بعد ثورة ٢٥ يناير[٤٥].

وقد شكّل ما عدّته الرياض دعمًا أميركيًا لوصول الإسلاميين إلى السلطة في دول "الربيع العربي" أحد أهم مظاهر الخلاف السعودي - الأميركي في سياق الثورات التي شهدتها المنطقة عمومًا، ومصر بصفة خاصة؛ إذ بدأت واشنطن تبدي ميلًا لحكم "إخواني" يحقّق لها جملة من المصالح في إطار سياسة جديدة طموحة للتأقلم مع التغيّرات الإستراتيجية التي تشهدها المنطقة[٤٦].

فمع اجتياح رياح التغيير معظم المنطقة العربية، أبدت الإدارة الأميركية استعدادها للتعامل مع التيارات الإسلامية المعتدلة مثل نموذج حزب العدالة والتنمية في تركيا. وبناء عليه، رحبت بوصول الإخوان المسلمين إلى الحكم في مصر عن طريق صناديق الاقتراع، في إطار ما اعتبره بعض أركان إدارة أوباما مصالحة تاريخية بين المصالح الأميركية والقيم الديمقراطية[٤٧]. وقد عزّزت إعادة اكتشاف إدارة أوباما تصنيفات إدارة بيل كلينتون للتيارات الإسلامية – معتدلة ومتشددة[٤٨] - الاقتناع بأنّ لا ديمقراطية ممكنة في المنطقة العربية بمعزلٍ عن قوى المعارضة الرئيسة فيها، وهي الحركات الإسلامية، التي أخذت تقدِّم نفسها على أنها البديل الديمقراطي من الأنظمة العربية التي أفرزت سياساتها التطرف والاستبداد والفساد.

أثارت هذه السياسة قلقًا شديدًا في السعودية التي أصبح بعضهم في واشنطن ينظر إليها على أنها من قوى الماضي، فيما يجري النظر إلى التيارات الإسلامية الحاكمة في تركيا ومصر على أنها قوى المستقبل التي يمكن للولايات المتحدة العمل معها[٤٩]. ومن المفارقات التي فرضتها ظروف الربيع العربي أن تحوّلت السعودية إلى داعمٍ رئيسٍ لبقايا التيارات العلمانية في المنطقة العربية التي وقفت في معظمها مع قوى الثورة المضادة، أما واشنطن "البراغماتية" بطبيعتها، فاختارت أن تساير البازغ والصاعد على حساب الآفل؛ فرحبت بوصول القوى الإسلامية "المعتدلة" إلى السلطة في دول الربيع العربي، وأعربت عن استعدادها للتعامل معها[٥٠].

وبلغ الخلاف السعودي - الأميركي ذروته عندما دعمت السعودية الانقلاب العسكري الذي أطاح الرئيس محمد مرسي وحكم الإخوان في مصر. وفي الوقت الذي قررت فيه واشنطن قطع بعض المساعدات عن القاهرة كموقفٍ احتجاجي لا بد منه بسبب وقف المسار الديمقراطي والانقلاب على حكومةٍ منتخبة[٥١]، عبّرت السعودية عن

43 Walter Russell Mead, "The Failed Grand Strategy in the Middle East," August 24, 2013, at: http://online.wsj.com/news/articles/SB10001424127887324619504579028923699568400

٤٤ "مصدر: الأمير بندر يقول إن الرياض ستبتعد عن أميركا"، **رويترز**، ٢٠١٣/١٠/٢٢، انظر:
http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE9B28KQ20131022

45 Bruce Riedel, "Saudi Arabia Blames America for the Turmoil in Egypt," August 19, 2013, at: http://www.thedailybeast.com/articles/2013/08/19/saudi-arabia-blames-america-for-the-turmoil-in-egypt.html

46 Mead, "The Failed Grand Strategy in the Middle East."

47 Ibid.

٤٨ في ما يتعلق بهذه التصنيفات، انظر:
Edward P. Djerejian, "The U.S. and the Middle East in a Changing World," an Address by Edward Djerejian, Assistant Secretary of State for Near Eastern Affairs, before Meridian House International, Washington, D.C., June 2, 1992, at: http://dosfan.lib.uic.edu/ERC/briefing/dispatch/1992/html/Dispatchv3no23.html; "North African Countries: U.S. Relations and Assistance," a Statement by Djerejian before the Subcommittee on Africa of the House Foreign Affairs Committee, Washington, D.C. May 12, 1993, at: http://dosfan.lib.uic.edu/ERC/briefing/dispatch/1993/html/Dispatchv4no21.html

49 Stephen Kinzer, *Reset Middle East: Old Friends and New Alliances: Saudi Arabia, Israel, Turkey, Iran* (London: I.B. Tauris Limited, 2011).

50 Mead, "The Failed Grand Strategy in the Middle East."

٥١ في الوقت الذي ما زالت فيه إدارة الرئيس أوباما ترفض توصيف ما حصل في مصر يوم ٣ تموز/ يوليو ٢٠١٣ بأنه انقلاب، فقد غدا واضحًا أنّ هناك خلافًا كبيرًا في الإدارة بشأن طريقة التعاطي مع الانقلاب العسكري. ويوجد تياران داخل الإدارة الأميركية: الأول يقوده

دعمها الكامل للانقلاب ورفضها لكل الضغوط الممارسة على القيادة المصرية الجديدة وتعهدت بتقديم بديل من جميع المساعدات الغربية التي يمكن قطعها عن مصر[٥٢].

الموقف الأميركي من الأزمة السوريّة

من القضايا الخلافية الأخرى التي نتجت من "الربيع العربي" وسبّبت توترًا في العلاقات السعودية - الأميركية، الموقف الأميركي من الأزمة السوريّة. فقد عبّرت السعودية مراتٍ عديدةٍ عن استيائها من الموقف الأميركي "الضعيف والمتردد" من نظام الرئيس بشار الأسد، وذلك بخلاف ما اعتبرته السعودية موقفًا أميركيًا حازمًا غير مبرر تجاه أنظمة كانت تعدّ حليفة للغرب في تونس ومصر مثلًا. فمنذ بداية الأزمة السوريّة، أحجمت واشنطن عن اتخاذ خطوات مؤثرة من النوع الذي يمكن أن يؤدي إلى رحيل النظام السوري، واكتفت بدلًا من ذلك بفرض حزمة عقوبات اقتصادية لم يكن لها - في ظل الدعم الكبير الذي تلقاه النظام من حلفائه وبخاصة من إيران - تأثير كبير على حسابات دمشق. وظل الموقف الأميركي لأكثر من عامين يتراوح بين دعوة الرئيس الأسد للتنحي وبأنه فقد شرعيته وإدانة سياساته في التعاطي مع الأزمة، وبين استمرار واشنطن في رفض التدخل عسكريًا على غرار ما فعلت في ليبيا، ورفض تسليح المعارضة السوريّة بحجة التخوف من وقوع هذه الأسلحة في يد جماعات متشددة من جهة، وعدم ظهور بديل مقنع من نظام الأسد يكون كفيلًا بتسريع إسقاطه، من جهة أخرى[٥٣].

ولأسباب جيوسياسية بحتة، رأت الرياض أنّ تفرّد إيران بالنفوذ في العراق خاصّةً بعد انسحاب الأميركيين مع وجود قوي لها في سورية، سوف يطوّقها بهلال نفوذ إيرانيّ[٥٤] يمتدّ شمال شبه الجزيرة العربية في كل من العراق والشام[٥٥]، فضلًا عن تزايد المخاوف من تصاعد التأثير الإيـرانيّ في اليمن حيث التمرّد الحوثي، ومحاولات طهران التدخّل في الشؤون الداخلية لدول خليجية عدّة حيث توجد أقلّيات شيعيّة مهمّة. لذلك، عندما اندلعت الثورة السوريّة، لاحت للرياض فرصة لتصحيح موازين القوى لمصلحتها عبر تحويل سورية من حليفٍ لإيران إلى خصمٍ لها، وبما يشكّل حائطَ صدٍّ لنفوذها الإقليميّ المتعاظم، بعد أن فقد العراق إمكانيّة القيام بهذا الدّور[٥٦].

لقد تحوّلت سياسة إسقاط النظام المؤيّد لإيران في دمشق وإنشاء نظامٍ بديل يكون قريبًا من الرياض ويشكّل حليفًا إستراتيجيًّا لها إلى أولوية أمنية كبرى بالنسبة إلى السعودية التي دعت إلى استخدام القوّة العسكريّة لإطاحة النظام السوري، إمّا عبر تسليح المعارضة أو عبر تدخل عسكري إقليمي أو دولي[٥٧]. لذلك لم يكن مفاجئًا حجم الاستياء السعودي عندما تراجعت إدارة أوباما عن توجيه ضربة عسكرية للنظام السوري بسبب استخدامه السلاح الكيماوي في غوطتي دمشق في آب/ أغسطس ٢٠١٣؛ إذ انتقدت الرياض بشدة توجّه الأميركيين إلى عقد اتفاق مع روسيا لتسليم الأسلحة الكيماوية

وزير الخارجية جون كيري ويؤيده وزير الدفاع تشاك هيغل الذي يرى أنّ مصلحة الولايات المتحدة تقتضي التعامل مع النظام الجديد في إطار سياسة واقعية تراعي فيها موقف حلفائها السعوديين الذين نجحوا على ما يبدو في قيادة الثورة المضادة، ويحافظ على مصر حليفًا في إطار سياسة التعاطي مع من يحكم بغض النظر إن كان ذلك يقود إلى القضاء على المسار الديمقراطي. أما التيار الثاني في الإدارة فتقوده مستشارة الأمن القومي سوزان رايس ويرى أنّ مصالح الولايات المتحدة تقتضي التأكيد على المسار الديمقراطي؛ لأنّ الموقف المغاير سيعيد المنطقة والسياسة الأميركية إلى المربع الأول عندما كانت واشنطن تدعم الديكتاتوريات، وتتحمّل ثمن هذا الموقف انتقادات وهجمات عليها وعلى مصالحها في المنطقة وحتى داخل الولايات المتحدة، كما حصل في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. من هنا يظهر التناقض في السياسة الأميركية تجاه مصر؛ فمن جهة تفرض واشنطن عقوبات على حكومة الانقلاب، ومن جهة أخرى تبدو أنها توافق على خريطة الطريق التي وضعها الجنرال عبد الفتاح السيسي، انظر:
John Kerry Defies the White House on Egypt Policy, *The Daily Beast*, November 18, 2013, at: http://www.thedailybeast.com/articles/2013/11/18/exclusive-john-kerry-defies-the-white-house-on-egypt-policy.html;
"Tensions between John Kerry and Susan Rice may be at core of 'muddled' U.S. policy on Egypt," *National Post*, November 22, 2013, at: http://news.nationalpost.com/2013/11/22/tensions-between-john-kerry-and-susan-rice-may-be-at-core-of-muddled-u-s-policy-on-egypt/

٥٢ "سعود الفيصل: العرب مستعدون لتعويض المساعدات الغربية لمصر"، **الحياة**، ٢٠١٣/٨/١٩، انظر:
http://alhayat.com/Details/543090

53 Michael R. Gordon and Mark Landler, "Backstage Glimpses of Clinton as Dogged Diplomat, Win or Lose," *The New York Times*, February 2, 2013, at: http://www.nytimes.com/2013/02/03/us/politics/in-behind-scene-blows-and-triumphs-sense-of-clinton-future.html?pagewanted=all&_r=0

٥٤ خالد الدخيل، "أولى ثمرات ورقتيّ العراق وسوريا"، **الحياة**، ٢٠١٣/٩/٢٩، انظر:
http://alhayat.com/OpinionsDetails/556608

55 George Freidman, "From the Mediterranean to the Hindu Kush: Rethinking the Region," *Stratfor*, October 18, 2011, at: http://www.stratfor.com/weekly/20111017-mediterranean-hindu-kush-rethinking-region

56 Joseph Holliday, "The Struggle for Syria in 2011: An Operational and Regional Analysis," *Middle East Security*, Report 2 (December 2011), p. 23, at: http://www.understandingwar.org/sites/default/files/Struggle_For_Syria.pdf

57 Daniel Byman, "Preparing for Failure in Syria: How to Stave off Catastrophe," *Foreign Affairs*, March 20, 2012, at: http://www.foreignaffairs.com/articles/137339/daniel-byman/preparing-for-failure-in-syria

السورية وتدميرها، بدلًا من معاقبة النظام على فعلته. وقد لاقت هذه الصفقة استحسان الإيرانيين والروس والإسرائيليين ودعمهم(٥٨).

وقد بلغ الاستياء السعودي من الموقف الأميركي بخصوص الاتفاق الكيماوي السوري حد التهديد بوقف كل أشكال التعاون مع واشنطن(٥٩). وكبادرة احتجاجية لافتة، رفضت السعودية في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٣ تسلّم عضوية مقعدٍ غير دائمٍ لمدة سنتين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة جرى انتخابها لشغله. وتستكمل بهذه الخطوة مسارًا بدأ عندما قرر وزير خارجيتها الأمير سعود الفيصل إلغاء كلمة بلاده أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في وقت سابق من الشهر نفسه(٦٠). وقد علّلت السعودية قرارها رفض العضوية بعجز المجلس عن "وضع حدٍ فاصلٍ وسريعٍ لمعاناة الشعب السوري" وحملة الإبادة التي يشنها النظام السوري ضده "مستخدمًا كل أنواع الأسلحة التقليدية وغير التقليدية"، كما جاء في خطاب سفيرها لدى الأمم المتحدة خلال الجلسة المخصصة لمناقشة قضايا الشرق الأوسط(٦١).

التقارب الأميركي - الإيراني والاتفاق النووي

بقدر ما كانت إطاحة النظام السوري تشكّل أولويةً بالنسبة إلى السعوديين، كان الأميركيون منشغلين بقضايا عمّقت خلافاتهم مع السعودية، وتحديدًا فتح حوارٍ سري مع إيران. لقد شكّلت إيران، إلى جانب السعودية، الركن الآخر في الإستراتيجية الأميركية في منطقة الخليج خلال عقود الحرب الباردة الأولى ١٩٤٦-١٩٧٩. ومنذ أن ساعدت الاستخبارات الأميركية في إطاحة رئيس الوزراء الإيراني الأسبق محمد مصدق وإعادة الشاه محمد رضا بهلوي إلى الحكم عام ١٩٥٣ وحتى الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، ساهمت الولايات المتحدة في تحويل إيران إلى قوة عسكرية مركزية في الخليج لصدّ المدّ الشيوعي من جهة، وضمان أمن إمدادات الطاقة من جهة أخرى(٦٢).

خلال عقود الثورة الثلاثة الماضية دخلت واشنطن وطهران في حالة عداء مستحكم. وعلى الرغم من أنّ مصالح البلدين تقاطعت في بعض الفترات خاصةً خلال عهد الرئيس الأسبق محمد خاتمي عندما قامت واشنطن بغزو كل من أفغانستان والعراق، فإنّ العداء ظل السمة البارزة للعلاقات بين البلدين حتى انتخاب الرئيس حسن روحاني صيف عام ٢٠١٣ وبدء رحلة التقارب.

شكل الكشف عن مفاوضات سرية أميركية - إيرانية بدأت منذ وصول أوباما إلى السلطة مطلع عام ٢٠٠٩، وتكشّفها منذ أواخر عام ٢٠١١، صدمةً لحلفاء واشنطن في الخليج، وبخاصة السعودية، وذلك على الرغم من بدء الحديث عن تقارب أميركي - إيراني منذ انتخاب حسن روحاني في حزيران/ يونيو ٢٠١٣. وقد أسفرت هذه المفاوضات عن الإعلان عن التوصل إلى اتفاق مرحلي في جنيف في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣ لحل أزمة البرنامج النووي الإيراني، والتي استمرت نحو عشر سنوات(٦٣).

وبموجب الاتفاق، التزمت إيران بتحقيق معظم الشروط الغربية بما فيها عدم ممارسة نشاطات تخصيب اليورانيوم بنسبة تفوق خمسة في المئة خلال فترة الاتفاق، مع عدم القيام بأي نشاطات ترمي إلى تطوير منشآت إنتاج الوقود النووي في نطنز وفوردو. ووافقت أيضًا على وقف العمل في بناء مفاعل أراك الذي يعمل بالماء الثقيل والمخصص لإنتاج البلوتونيوم، ووقف تصنيع الوقود اللازم لتشغيله. كما تعهّدت بعدم تشييد أيّ منشآت نووية جديدة متعلقة بتخصيب اليورانيوم، وعدم القيام بأي عمليات إعادة تأهيل للمواد النووية أو تشييد منشآت لها القدرة على إعادة التأهيل، وذلك كله مقابل رفعٍ جزئي للعقوبات الاقتصادية(٦٤).

٥٨ "تـركي الفيصل ينتقد أوباما: لن نترك البحرين لإيـران"، **سي إن إن بالعربية**، ٢٠١٣/١٠/٢٣، انظر:
http://arabic.cnn.com/2013/middle_east/10/23/turki.america/

٥٩ "مصدر: الأمير بندر يقول إن الرياض ستبتعد عن أميركا"؛ وكذلك: "السعودية تقول إنها قد تبتعد عن أميركا بسبب مواقفها المتصلة بسوريا وإيران"، **رويترز**، ٢٠١٣/١٠/٢٣، انظر:
http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE9B28UT20131023?sp=true

٦٠ "بيان من وزارة الخارجية يفيد بأن المملكة تعلن اعتذارها عن قبول عضوية مجلس الأمن"، الموقع الرسمي لوزارة الخارجية السعودية، ٢٠١٣/١٠/١٨، انظر:
http://www.mofa.gov.sa/ServicesAndInformation/news/MinistryNews/Pages/ArticleID2013101821339394.aspx

٦١ "السعودية تحذر مجلس الأمن من فقدان العالم الثقة بالعمل الدولي"، **الحياة**، ٢٠١٣/١٠/٢٤، انظر:
http://alhayat.com/Details/564609

62 Mark J. Gasiorowski, *U.S. Foreign Policy and the Shah: Building a Client State in Iran* (Ithaca and London: Cornell University Press, 1991).

63 Carol E. Lee, Jay Solomon and Laurence Norman, "Two-Track Negotiations Led to Iran Nuclear Deal," *The Wall Street Journal*, 24/11/2013, at: http://online.wsj.com/news/articles/SB10001424052702304281004579218343099984808

٦٤ رندة تقي الدين، "اتفاق نووي تمهيدي بين إيران والدول الست وخامنئي يرى فيه أساسًا لتدابير ذكية مقبلة"، **الحياة**، ٢٠١٣/١١/٢٥، انظر:
http://alhayat.com/Details/575416

جاء رد فعل السعودية على الاتفاق النووي مرتبكًا، فرفضته أول الأمر(٦٥)، ثمّ رحبت به شرط توافر "حسن النوايا"(٦٦)، فعادت بعد ذلك وحذرت من الصفقة؛ ما يوضح أنّها لم تكن تشعر بارتياح تجاه التقارب الإيراني - الأميركي فضلًا عن أنها كانت متفاجئة من عقد الاتفاق الذي جرى بغير علمها. من جهة أخرى، اعتبرت السعودية أنّ الاتفاق لا يقلّص مشاكلها مع إيـران(٦٧) ولا يعالج قضايا تعتبر أكثر أهمية بالنسبة إليها(٦٨). فالموضوع النووي مع أهميته، لا يشكل المفصل الوحيد والرئيس في العلاقات بين الرياض وطهران، فهناك موضوع التدخل الإيراني في الشؤون الداخلية لدول الخليج العربية ومحاولة زعزعة الاستقرار في بعضها، فضلًا عن محاولات بناء قوة إقليمية إيرانية مهيمنة عبر إنشاء قواعد نفوذ وتأثير في سورية والعراق واليمن ولبنان وغيرها(٦٩). كما أنّ تخلي إيران عن برنامجها النووي لا يعني أنّ التهديد الإيـراني قد زال؛ فالتهديد الحقيقي بالنسبة إلى السعودية وغيرها من دول مجلس التعاون يتمثل في ترسانة الأسلحة التقليدية التي تمتلكها إيران وأهمها آلاف الصواريخ الباليستية القادرة على بلوغ كل نقطة في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية، ويعتبر خطرها أكبر من خطر امتلاك سلاحٍ نووي إيراني غير قابل للاستخدام من الناحية السياسية، فضلًا عن كونه يسهم في إطلاق سباق نووي في المنطقة(٧٠).

وفضلًا عن ذلك، لا تخفي السعودية خشيتها من وجود تفاهمات غير معلنة على غرار المفاوضات السرية بين طهران وواشنطن تؤدي إلى حلولٍ على حسابها وحساب العرب في مختلف الملفات(٧١)؛ وهي مخاوف تبدو مبررة إلى حد ما(٧٢). فالإشارات التي تأتي من واشنطن لا تبدو مطمئنة للسعوديين وتؤكد مخاوفهم؛ ابتداءً من استقبال الرئيس أوباما لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي - الذي ينظر إليه على نطاق واسع في السعودية على أنه رجل إيران - ومنحه الدعم الأميركي في مواجهة "الارهاب"(٧٣)، إلى معارضة أوباما إسقاط نظام بشار الأسد عسكريًا خشية وصول متشددين إلى الحكم في سورية، ثم موقفه الذي ما زال ملتبسًا من الانقلاب العسكري في مصر، وأخيرًا انفتاحه على إيران(٧٤).

هل انتهى التحالف السعودي - الأميركي؟

في ظل وجود خلافات كبيرة بين واشنطن والرياض حول عددٍ من الملفات الإقليمية الرئيسة، إضافة إلى التوجس السعودي من التقارب الأمـيركي مع إيـران، هل يمكن الاستنتاج بـأنّ التحالف السعودي - الأميركي قد بلغ نهايته بعد أن أدى غرضه بالنسبة إلى الأميركيين على الأقـل؟(٧٥) وهل نحن على وشك أن نشهد استبدال تحالف أميركي - إيراني به؟(٧٦) من جهة أخرى، هل تبرّر الاكتشافات

٦٥ "اتفاق إيران النووي: مصر والإمارات ترحب والسعودية ترفض"، **سي إن إن بالعربية**، ٢٠١٣/١١/٢٥، انظر:
http://arabic.cnn.com/2013/world/11/24/iran.reactions

٦٦ "ترحيب سعودي حذر باتفاق إيران النووي"، **سكاي نيوز عربية**، ٢٠١٣/١١/٢٥، انظر:
http://goo.gl/4XIZuy

67 William Maclean, "U.S.-Iran thaw starts to reshape Mideast power balance," Novemebr 24, 2013, at: http://mobile.reuters.com/article/idUSBRE9AN0CK20131124?irpc=932

٦٨ "السعودية تحذر من صفقة النووي الإيراني بأنها لن تقف مكتوفة الأيدي"، **الحياة**، ٢٠١٣/١١/٢٤، انظر:
http://alhayat.com/Details/575271

٦٩ جمال خاشقجي، "نهاية لعبة الأمم"، **الحياة**، ٢٠١٣/١١/١٦، انظر:
http://alhayat.com/OpinionsDetails/572359

70 "Pakistan 'ready to deliver nuclear weapons to Saudi Arabia'", *The Telegraph*, November 7, 2013, at: http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/asia/pakistan/10432006/Pakistan-ready-to-deliver-nuclear-weapons-to-Saudi-Arabia.html

٧١ خالد الدخيل، "القلق السعودي من الاتفاق الأميركي - الإيراني"، **الحياة**، ٢٠١٣/١١/٢٨، انظر:
http://alhayat.com/OpinionsDetails/576425

72 George Friedman, "Israelis, Saudi's and the Iranian Agreement," *Stratfor*, Novemeber 26, 2013, at: http://www.stratfor.com/weekly/israelis-saudis-and-iranian-agreement

٧٣ "المالكي في واشنطن يدعو إلى حرب عالمية ثالثة على الإرهاب"، **الحياة**، ٢٠١٣/١١/٢، انظر:
http://alhayat.com/Details/567707
وكذلك: "المالكي يختتم زيارة واشنطن ويعود إلى بغداد: طلبنا تزويدنا طائرات من دون طيار وأسلحة هجومية"، **الحياة**، ٢٠١٣/١١/٣، انظر:
http://alhayat.com/Details/568003

74 F. Gregory Gause, "Why the Iran Deal Scares Saudi Arabia," *The New Yorker*, November 26, 2013, at: http://www.newyorker.com/online/blogs/newsdesk/2013/11/why-the-iran-deal-scares-saudi-arabia.html

٧٥ تتفق الأوساط المؤيدة لإيران مثل حزب الله والتنظيمات السلفية الجهادية - وهما يتشاركان في عدائهما للسعودية - في الترويج لفكرة أنّ الغرب قد أدار ظهره لحلفائه العرب في الخليج، وعلى رأسهم السعودية، وبدأ ينشُدُ بناء تحالفٍ بديلٍ مع إيران، كما في الإعلام القريب من حزب الله، انظر: حسن شقراني، "إيران إلى سوق النفط والعين على السعودية"، **الأخبار** اللبنانية، ٢٠١٣/١٠/٣٠، في:
http://www.al-akhbar.com/node/194074.

76 Kinzer.

الكبيرة للنفط والغاز الصخري في الولايات المتحدة، والتي توشك أن تحوّلها إلى أكبر منتج للطاقة الأحفورية في العالم خلال سنوات قليلة، القول بأنّ أهمية منطقة الخليج قد تلاشت في الحسابات الأميركية؟[٧٧]

لا شك في أنّ مصالح إدارة أوباما وأولوياتها اليوم تبدو مختلفة عن تلك التي تعني السعودية المنشغلة كليًا بإيران ومشروعها الإقليمي؛ فأوباما مستغرق بتنفيذ أجندته الداخلية وهو مستمر في توفير الظروف الإقليمية والدولية للخروج من المستنقع الأفغاني بعد أن نجح في الخروج من العراق. لذلك يبدو مفهومًا أن يقاوم الرئيس الذي جاء إلى السلطة بهدفٍ أساسي وهو التخلّص من آثار التورّط العسكري الأميركي في العالم الإسلامي لنحو عقدٍ من الزمن، كل الضغوط التي تدفعه نحو الدخول في نزاعات مسلّحة جديدة خاصة في منطقة الشرق الأوسط، ما دامت المصالح الأميركية لم تتعرض للتهديد على نحو مباشر.

أما في إطار المصالح الأميركية الأوسع على المستوى الدولي، فتعتقد إدارة أوباما أنّ الولايات المتحدة ونتيجة استغراقها في حروب طويلة في العالم الإسلامي أغفلت تحدّيات إستراتيجية أكبر خاصة في منطقة آسيا والمحيط الهادي حيث تقبع القوى الاقتصادية والنووية الكبرى في العالم (روسيا، والصين، والهند، واليابان). وتدرك مؤسسة صنع السياسة الخارجية الأميركية Foreign Policy Establishment أنّ روسيا والصين بخاصة استفادتا بشدة من الانشغال الأميركي عنهما في الحرب على الإرهاب لإعادة بناء قوتيهما ونفوذهما بشكل كبير[٧٨]. وقد دفع ذلك إدارة أوباما إلى بلورة إستراتيجية أمنية جديدة تجعل الشرق الأقصى، والصين تحديدًا، في بؤرة الاهتمام الأميركي[٧٩]، في الوقت الذي تستمر فيه في مواجهة التهديدات "الإرهابية" باستخدام تقنيات عسكرية حديثة لا تستدعي تورطًا واسعًا ولا تتطلب إنزال قوات كبيرة على الأرض، مثل استخدام الطائرات من دون طيار (Drone Wars and Unmanned Areail Veihcles -UAV).

لقد أثّرت أحداث "الربيع العربي" بشكل كبير في رؤية واشنطن تجاه المنطقة العربية عامة، بغض النظر عن مدى مسؤولية واشنطن عن بعض نتائجها وإخفاقاتها[٨٠]. ومن الواضح أنّ الإحساس العميق بالإخفاق والفشل في التعاطي مع تطورات الربيع العربي والدفع بها نحو النتائج المرجوة أدى إلى ردود فعل بلغت في حدها الأقصى المطالبة بإدارة الظهر بصورة كاملة للمنطقة العربية، وفي حدها الأدنى إعادة تعريف المصالح الأميركية فيها[٨١]. وفي النتيجة، تبيّن للولايات المتحدة أنه لن يكون هناك ربيع في إيران ولا ثورة أو انتفاضة، وحتى لو حصل ذلك، فقد أدركت بأنّ ذلك قد لا يكون بالضرورة لمصلحتها. وسط هذه الفوضى وحالة عدم اليقين، بدأت واشنطن إعادة تعريف مصالحها في المنطقة والتفكير بإستراتيجيات بديلة من حمايتها[٨٢].

في سياق هذ المشهد المعقد، وفي إطار إعادة واشنطن النظر في مجمل إستراتيجيتها على المستويين الدولي والإقليمي، برزت حدة التناقضات في رؤية كلٍ من الرياض وواشنطن لما يجري. ففي حين عبّر السعوديون عن صعوبة في فهم سبب عدم استغلال إدارة أوباما الفرصة التي أتاحتها الثورة السوريّة لتصحيح الخطأ الذي ارتكبته الولايات المتحدة في العراق قبل عقد وأدى إلى تعزيز نفوذ إيران الإقليمي[٨٣]، تبدو واشنطن مهتمة أكثر بإدارة الأزمة السوريّة من خلال مقاربة تعينها في "الحرب على الإرهاب" من جهة، وتؤمّن مصالحها في الشرق الأوسط من دون الحاجة إلى تدخل عسكري مباشر من جهة أخرى. فمن خلال الحيلولة دون انتصار طرفٍ على آخر في النزاع السوري، تمكّن الأميركيون من إنشاء ميزان قوى محلي، ومن ثمّ إقليمي؛ تنشغل فيه الأطراف المختلفة بالقتال في ما بينها، وبما يؤدي إلى توازن في القوى. دفعت هذه المقاربة الولايات المتحدة نحو إعادة النظر في علاقتها بإيران، فبدلًا من أن تحاول هزيمتها في سورية، كما يرجو السعوديون[٨٤]، راحت تعمل على منعها من تحقيق الانتصار، في الوقت الذي بدأت تنفتح عليها أكثر وتسعى لتعظيم الفائدة من

٧٧ راغدة درغام، "النفط والغاز والعلاقة الجديدة بين أميركا وروسيا"، **الحياة**، ٢٠١٣/١/١٨، انظر:

http://alhayat.com/OpinionsDetails/562812

78 Robert D. Kaplan, "The Geography of Chinese Power: How Far Can Beijing Reach on Land and at Sea?" *Foreign Affairs* (May-June 2010); "Q&A With Robert Kaplan on China," *Foreign Affairs* (May 2010), at: http://www.foreignaffairs.com/discussions/interviews/qa-with-robert-kaplan-on-china

79 Hillary Clinton, "America's Pacific Century," *Foreign Policy* (November 2011), at:
http://www.foreignpolicy.com/articles/2011/10/11/americas_pacific_century

80 Mead, "The Failed Grand Strategy in the Middle East."

٨١ حصل هذا بشكل أساسي بعد مقتل السفير الأميركي في ليبيا في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢.

82 George Friedman, "The U.S.-Iran Talks: Ideology and Neceesity, Stratfor," November 12, 2013, at: http://goo.gl/3rWeOK

٨٣ جمال خاشقجي، "أوباما يفرّ... وسورية "فيتنام" لإيران ... ماذا عن السعودية؟" **الحياة**، ٢٠١٣/١٠/٢٦، انظر:

http://alhayat.com/OpinionsDetails/565220

٨٤ راغدة درغام، "أوباما لبى رغبة إيران وروسيا في الانتصار"، **الحياة**، ٢٠١٣/١١/٢٩، انظر:
http://alhayat.com/OpinionsDetails/576789

دمجها في ميزان قوى إقليمي بعد أن استنفد جهد عزلها وإقصائها الغرض منه.

جاءت هذه المقاربة في إطار رؤية أوسع لخدمة مصالح واشنطن الأخرى في عموم المنطقة؛ فمع اقتراب موعد انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان، وفي ظل تدهور الوضع الأمني في باكستان، أخذت واشنطن تسعى للحصول على مساعدة إيران في سحب آلياتها العسكرية الثقيلة من أفغانستان كما حصلت على مساعدتها عندما قامت بعملية الغزو في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١، وفي كلتا الحالتين فرضت الجغرافيا نفسها على جميع الاعتبارات الأخرى[٨٥]. وفضلًا عن العائد السياسي والأمني للتقارب مع إيران، سوف تكون هناك مكاسب ذات طبيعة اقتصادية للشركات الأميركية التي تبدو ممتنة للقيام بإصلاح اقتصاد إيران الذي أنهكته العقوبات[٨٦].

بالتأكيد، سوف يبدو المشهد الجيوبولتيكي مختلفًا في المنطقة إذا حصل توافق إيراني - أميركي، لكنّ مقاربة ميزان القوى الذي تسعى إدارة أوباما لإعادة بنائه بعد أن دمرته الحرب الأميركية على العراق قبل عقد من الزمن لن تؤدي إلى إنهاء العلاقة مع السعودية، على الرغم من جميع الاختلافات معها. وعلى العكس من ذلك، سوف يستمر ميزان القوى في تأدية وظيفته فحسب إذا حافظت واشنطن على علاقة قوية بجميع الأطراف بحيث تقوم بموازنة الجميع من خلال مواجهة بعضهم بعضًا؛ وذلك في استعارة للمشهد الذي ساد في أوروبا في القرن التاسع عشر حين أدت بريطانيا خلاله دور "بيضة القبان" لموازنة القوى الأوروبية المشكّلة للميزان، وبما يمنع طغيان إحداها على الأخرى، كما يمنع ظهور قوة مهيمنة. وهذا ما يجعل من سياسةٍ أميركيةٍ داعمةٍ بشكلٍ مطلقٍ لإيران أمرًا غير ممكنٍ من الناحية السياسية، بل سيؤدي حتمًا إلى نتائج عكسية ومردود سلبي للمصالح الأميركية[٨٧].

إنّ العلاقات السعودية - الأميركية التي كانت تقوم في الأساس على "صيغة" النفط مقابل الأمن بدأت تتغير بسبب اكتشافات النفط والغاز الصخري في أميركا، لكنها لن تنتهي؛ فمن جهة، لا توجد أي تقديرات تشير إلى أنّ الولايات المتحدة سوف تحقق اكتفاءً ذاتيًا كاملًا من النفوط السائلة حتى عام ٢٠٤٠[٨٨]. ومن جهة أخرى، فإنّ اهتمام أميركا بنفط الخليج لم يقتصر يومًا على تلبية حاجاتها المحلية من الطاقة، بل كانت له منافع أخرى، بعضها ذي طابع اقتصادي وإستراتيجي. من الناحية الاقتصادية، يشكل استمرار تدفق النفط من الخليج إلى الاقتصادات العالمية مصلحةً أميركيةً قصوى، لأنّ تعافي الاقتصاد الأميركي مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتعافي الاقتصاد العالمي، وفي الوقت الذي تتجه فيه أميركا إلى تقليل اعتمادها على الخليج في ما يتعلق بحاجاتها من الطاقة، سوف يزداد اعتماد دول شرق آسيا - التي تشكل اليوم قاطرة الاقتصاد العالمي وبحصة تبلغ نحو ٥٠ في المئة من الناتج الإجمالي العالمي - على النفط العربي[٨٩]، كما يزداد اعتماد الاقتصاد الأميركي على الاقتصادات الآسيوية التي تعد المستثمر الأكبر في سندات الخزينة الأميركية والمموّل الرئيس للحكومة الفيدرالية. لذلك ستبذل واشنطن كل جهدها من أجل ضمان استمرار تدفق النفط العربي للأسواق الآسيوية بانسيابية[٩٠].

وأما إستراتيجيًا، يشكّل نفط الخليج أحد أهم وسائل الضغط الأميركي على الصين، ويعتبر الوجود العسكري الأميركي على مقربة من حقول الإنتاج في الخليج فضلًا عن سيطرة الولايات المتحدة على خطوط النقل البحرية التي تمرّ عبرها شحنات النفط من أهم أدوات ممارسة النفوذ الأميركي في شرق آسيا والمحيط الهادي[٩١]. وفوق ذلك كله، سوف يبقى نفط الخليج العربي العامل الأساسي في تحديد سعر النفط عالميًا، كما أنّ تكلفته المنخفضة ستجعله دائمًا أكثر جاذبية وأكثر جدوى اقتصادية مقارنة بأنواع أخرى من الإنتاج بما فيها النفط والغاز الصخري[٩٢]. لهذه الأسباب، لم تشهد الميزانية العسكرية التي طلبتها وزارة الدفاع الأميركية لعامي ٢٠١٣ و٢٠١٤ تغييراً كبيراً في حجم الإنفاق المخصص لإعادة توزيع القوات الأميركية في المحيط الهادي، أو في ما يتعلق بحجم الالتزامات الأمنية في منطقتي الخليج والشرق الأوسط. كما أنّ

٨٥ "معاهدة إستراتجية إيرانية أفغانية تستوعب تداعيات الانسحاب الأميركي"، **الحياة**، ٢٠١٣/١٢/١٠، انظر:

http://alhayat.com/Details/580540

86 Maclean.

87 Rachel Bronson, "Swapping Riyadh for Tehran is not the Answer," *The New York Times*, November 26, 2013, at: http://www.nytimes.com/roomfordebate/2013/11/25/us-relations-with-iran-thaw-and-allies-shiver/swapping-riyadh-for-tehran-is-not-the-answer

88 Anthony H. Cordesman, "The Gulf and Middle East Strategic Partnerships: The Other Side of the Iran Negotiations," October 22, 2013, at: https://csis.org/publication/gulf-and-middle-east-strategic-partnerships-other-side-iran-negotiations

89 Sarah O. Ladislaw, "How will the Shifting Energy Landscape in Asia Impact Geopolitics?" November 13, 2013, at: https://csis.org/files/publication/131112_chap8_Ladislaw.pdf

90 Cordesman.

٩١ مروان قبلان، "دبلوماسية الصّين النفطية واحتمالات الصّدام مع أميركا"، مجلة **دراسات استراتيجية**، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، جامعة دمشق، العدد ١٩-٢٠ (ربيع - صيف ٢٠٠٦)، ص ٢٠١-٢٢٣.

٩٢ "هل يتقلص اهتمام واشنطن بنفط الخليج مع تسارع إنتاج النفط الصخري الأميركي؟"، **الحياة**، ٢٠١٣/٥/١٧، انظر:

http://alhayat.com/Details/514637

الإستراتيجية الأمنية التي أعلنتها الوزارة عام ٢٠١٢ أكدت على أهمية حماية أمن الخليج بالنسبة إلى المصالح الأمريكية[٩٣].

أخيرًا، من الخطأ تفسير تزايد الاهتمام الأمريكي بمنطقة آسيا والمحيط الهادي بأنه يشكّل انسحابًا من منطقة الشرق الأوسط والخليج. لا شك في أنّ هناك مزاجًا أميركيًا عامًا يميل إلى العزلة بعد أن دفع الأميركيون غاليًا ثمن تورطهم في نزاعات طويلة الأمد في العالم الإسلامي خلال العقد الماضي، كما أنّ هناك شكاوى من تضاؤل الاهتمام الأميركي بمختلف القضايا الدولية؛ ففي أوروبا مثلًا أدارت الولايات المتحدة ظهرها لحلفائها القدماء (مثل بريطانيا) والجدد (مثل دول شرق أوروبا)[٩٤]. ومع ذلك، لا يبدو أنّ واشنطن تتجه إلى الانسحاب من منطقة الخليج والشرق الأوسط[٩٥]، بل من الواضح أنها تتجه إلى إعادة تعريف مصالحها وعلاقاتها معها.

خاتمة

يمكن القول إنّ العلاقات السعودية - الأميركية سوف تستمر بتأثير عوامل فوق ثنائية، مرتبطة تحديدًا ببنية النظام الدولي والإقليمي وميزان القوى الذي تسعى واشنطن لإعادة بنائه في المنطقة. وعلى الرغم من الاتجاه نحو الافتراق في قراءة كل طرفٍ مصالحه تجاه ملفات إقليمية مختلفة، فإنّ تداخل المصالح السعودية - الأميركية وتشابكها يفرض على الطرفين الاستمرار في التعاون بشكل وثيق. أما الصيغة القديمة التي حكمت العلاقات بينهما، وبخاصة مع دخول إيران على الخط واتجاه واشنطن إلى تحسين العلاقات معها، فسوف تتغيّر بالتأكيد. ويتطلب هذا الأمر من السعوديين والخليجيين تنويع علاقاتهم وتحالفاتهم الإقليمية والدولية من جهة[٩٦]، وتجاوز العقبات التي تحول دون بناء منظومة أمنية وسياسية واقتصادية متكاملة لدول الخليج العربية من جهة أخرى، لأنّ الرّكون بشكل مطلق إلى واشنطن أصبح خيارًا غير واقعي[٩٧].

كما يحتاج ما يبدو أنه يمثل خروجًا عن النهج التقليدي السلبي وغير المبادر للسعودية - إذ أخذت الرياض تؤدي دورًا أكثر فاعلية في الدفاع عن مصالحها خلال السنوات الثلاث الأخيرة - إلى رؤية متكاملة لسياسة أكثر فاعلية Aggressive foreign policy تعطي الأولوية المطلقة للمصالح العربية والسعودية. فعبر ستة عقود من التحالف السعودي - الأميركي، كانت المصالح الأميركية تأخذ الأولوية في هذه العلاقة، في حين ظلت السعودية تكتفي بدور المساير لواشنطن حتى لو كان ذلك على حساب مصالحها في بعض الأحيان، كما حصل خلال غزو العراق عام ٢٠٠٣. وبما أنّ واشنطن تقوم بإعادة تعريف علاقاتها مع الرياض بما يتوافق مع المستجدات الإقليمية والدولية، يتعين على السعودية أن تعيد تعريف علاقتها أيضًا بالولايات المتحدة؛ ليس عبر تهديدات مبطنة غير ذات أثر فحسب[٩٨]، وإنما أيضًا عبر القيام بدورٍ فاعلٍ في رسم مستقبل المنطقة والمشاركة المباشرة في صنع السياسات وخلق الفرص الإقليمية والدولية أو تجييرها لمصلحتها، بدلًا من الاهتمام بالموقف الأميركي أو الحرص على مراعاته حتى في الشؤون المتعلقة بالمصالح السعودية الخالصة.

---

93 Anthony H. Cordesman, “American Strategy and US “Energy Independence”, October 21, 2013, at: https://csis.org/publication/american-strategy-and-us-energy-independence

94 Moore.

٩٥ جمال خاشقجي، "أميركا روزفلت ترحل عن عالمنا"، **الحياة**، ٢٠١٣/١٠/١٢، انظر:
http://alhayat.com/OpinionsDetails/560975

٩٦ تتحدث تقارير إعلامية عن قيام السعودية بمحاولات لتعزيز علاقاتها مع روسيا ردًا على السياسة الأميركية في المنطقة، انظر، راغدة درغام، "تقاطع أميركي-إسرائيلي-روسي-إيراني"، **الحياة**، ٢٠١٣/١١/١٥، انظر:
http://alhayat.com/OpinionsDetails/572130

٩٧ جورج سمعان، "ما بين عُمان وإيران وبين السعودية وسورية"، **الحياة**، ٢٠١٣/١٢/١٧، انظر:
http://alhayat.com/OpinionsDetails/582405

98 “Spy Chief Distances Saudis From U.S.: Prince Bandar’s Move Raises Tensions Over Policies in Syria, Iran and Egypt,” *Wall Street Journal*, October 21, 2013, at: http://online.wsj.com/news/articles/SB10001424052702303902404579150011732240016